

المصطلح النقدي والدرس السيميائي المغربي

Le terme critique et l'étude sémantique maghrébine

The critical term and the semantic maghrebian study b

د. أحمد أمين بوضياف

د. عمر عليوي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

ملخص

تعد المصطلحات مفاتيح العلوم بما تتم المعرفة، ولها من الأهمية ما ييسر فهم أي علم أو استيعاب أي نظرية أو منهج أو فكر، فالوجه المرئي لكل نظرية يمثلها الاصطلاح الذي يرسم لهذه النظرية حدودها وامتداداتها في غيرها من النظريات، وأي إخلال بهذا السجل هو إخلال بالنظرية وبنائها ذاته. إن السيميولوجيا التي فرضت نفسها كعلم للعلوم كما يصفها البعض من النقاد لاشك أن استيعابه وفهمه لن يمر إلا من خلال فهم وضبط جهازها المصطلحي ضبطا دقيقا حتى يتسنى للمشتغلين عليها معرفة المنهج الصحيح والوصول إلى المقاربة الأدق.

Résumé

Les termes sont les clés de la connaissance et ils sont important de faciliter la compréhension de toute science ou l'assimilation de toute théorie, ce sont la face visible de chaque théorie est représentée par son registre conventionnel, qui délimite cette limite et ses extensions dans d'autres théories. Et toute violation de cet enregistrement constitue une violation de la théorie. Et sa construction elle-même.

La sémiologie qui s'est imposée comme une science des sciences, comme le décrivent certains critiques, ne fait aucun doute que sa compréhension ne pourra passer que par la compréhension et le contrôle de son appareil terminologique, de manière à ce que ceux qui y travaillent puissent connaître la bonne approche et parvenir à une approche plus précise.

تعد المصطلحات مفاتيح العلوم بما تتم المعرفة، ولها من الأهمية ما يعسر فهم أي علم أو استيعاب أي نظرية أو منهج أو فكر، يقول سعيد بنكراد " إن الحديث عن أي تصور نظري خارج حدود "مصطلحية" خاصة به حديث لا معنى له. فالوجه المرئي لكل نظرية يمثلها سجلها الاصطلاحي يرسم لهذه النظرية حدودها وامتداداتها في غيرها من النظريات، وأي إخلال بهذا السجل هو إخلال بالنظرية وبنائها ذاته. (1)

إن السيميولوجيا التي فرضت نفسها كعلم للعلوم كما يقول بعض النقاد لاشك ان استيعابه وفهمه لن يمر إلا من خلال فهم وضبط جهازها المصطلحي ضبطا دقيقا حتى يتسنى للمشتغلين عليها معرفة المنهج الصحيح والوصول إلى المقاربة الأدق. ولم تشذ النظرية السيميائية عن نظيراتها من مختلف المناهج النقدية الوافدة من الغرب، فكان انتقالها إلى النسخة العربية انتقالا مرتبكا يشوبه الكثير من الخلط والغموض يقول رشيد بن مالك في هذا " يلقى مشقة كبيرة في فهمها، وتمثلها واستساغتها وفك رموزها و مصطلحاتها، فهو يقرأ ويبدل مجهودا كبيرا لتطبيق فكرة أو مفهوم وفهم ما يترجم إلى اللغة العربية ولكنه لا يفهم ولا يجد إلى ذلك سبيلا. وأنى له أن يتمثل ما يقرأ وهو يفتقد إلى معرفة المسارات العلمية التي قطعها السيميائية ومفتقد إلى إدراك الفوارق المنهجية والمفهومية بين هذا المصطلح أو ذاك، هذا التيار أو ذاك. (2)

والسيميائية كنظرية لم يختلف استقبالها في الساحة النقدية العربية لا يختلف عن استقبال غيرها من المناهج الأخرى. وفي هذا الصدد تقول آراء عابد الجرمانى "لاتنصل إشكاليات استقبال السيميائية عن إشكاليات استقبال المناهج النقدية الأخرى... ولا سيما تداخل مصطلحاتها ومفاهيمها، وتشابكها مع مناهج أخرى" (3)

ولعل أبرز العوائق التي وقفت في وجه حل هذه المعضلة المتعلقة بالجهاز المصطلحي يمكن ان نوجزها فيما يلي من النقاط:

- إشكالية نقل مصطلح من اللغات الأجنبية، حيث لا نجد تعريفا أو مصطلحا دقيقا له متفق عليه بين النقاد العرب الحدائين.

- اختلاف التكوين الفكري والعلمي لعدد من المترجمين للمصطلح (4)

- الترجمة التوسطية عبر لغات مختلفة الفرنسية والانجليزية والإيطالية وحتى الروسية.

ولا تقف مشكلة المصطلح عند حدود النقل وحسب، بل الأمر يتعداه إلى غياب الظروف الأساسية لتوطين

المصطلحات الوافدة إلينا، " وبما أن الأمر لا يتعلق بصياغة مصطلحات تغطي نشاطا معرفيا يتمد اخل لغتنا بقوانينها في التقطيع والمفهمة والتركيب، بل هو أمر خاص بتوفير الشروط الأساسية لتلقي ونقل وتعريب مصطلحات وافدة إلينا عبر لغات أجنبية، فإن كل الأسئلة التي يثيرها هذا المصطلح ستأخذ أبعادا معرفية لها علاقة بتنوع الحاجات الإنسانية وطرق صياغتها والتعبير عنها. (5)

إن أبرز هذه الشروط الأساسية لتوطين المصطلح هو اطلاع المشتغل عليه على الأصول المعرفية للنظرية السيميائية، ونعني بذلك مختلف العلوم التي تنهل منها النظرية السيميائية وعلى رأسها التصورات اللسانية والفلسفة وغيرها، " وكان واجب المتلقي في البلاد العربية إدراك أصول هذه المناهج والنظريات الوافدة من الحضارة الغربية، وكشف العلاقة بينها والمفاهيم والمتصورات اللسانية التي تم إثراءها وتحديد محتوياتها، حتى تكون هذه المناهج متكاملة واضحة المعالم في تحليل النص الأدبي، لأنّ العلاقة بين اللسانيات والعلوم الإنسانية بصنفيها علاقة متجذرة بين المنهج والمصطلح لدى المنظرين الأوائل في النقد الجديد. (6)

وبعبارة أخرى ان هذا الجهاز الاصطلاحي ليس مجرد علامات لغوية مكونة من دال ومدلول تربط بينهما علاقة اعتبارية بل هو أكثر من ذلك إنها "كيانات تأتينا محملة بتاريخها ورؤاها وأشكالها في الوجود والاشتغال، ولهذا السبب، فإن تدبير أمور المصطلح ليس شأنًا تقنيا يتكفل به مترجمون متمرسون يجيدون اللغات، بل هو شأن معرّي يتكفل به المختصون في شتى فروع المعرفة.⁽⁷⁾

وعن الواقع الذي تعيشه المنظومة المصطلحية للدرس السيميائي العربي عموماً والمغربي على وجه الخصوص، يمكننا ان نقر بوجود العديد من الاعترافات من قبل العديدة من النقاد المشتغلين في الحقل السيميائي، من أمثال رشيد بن مالك ومرتاض ومحمد مفتاح وبنكراد وغيرهم بوجود ما يعرف بالفوضى المصطلحية مما صعب من عملية تقبل وتلقي المنهج السيميائي في نسخته العربية. ومرد ذلك أحياناً للميول الشخصية للمترجم كما عبر عن ذلك رشيد بن مالك " فإذا كان الخطاب السيميائي مستعصياً الفهم في لغته الأصلية، فإن الترجمة وبالشكل الذي تمّ به، وبحكم تعبيرها عن رغبة فردية تخضع لميول شخصية أكثر ممّا تخضع لفعل جماعي تزيدها غموضاً على غموض، ولا تفي بالغرض العلمي "⁽⁸⁾.

ومرده كذلك في أحيان أخرى إلى تعدد القراءات لمنتجات النظرية السيميائية وفق ورى وتصورات مختلفة " إن مسألة قراءة الطروحات السيميائية وما صاحبها من رؤى متشعبة، أدت إلى تعدد المفاهيم السيميولوجية في أدبيات النقاد والألسنيين والفلاسفة، ما أفضى إلى ظهور سيميولوجيات متولدة عن التعارض في المنطلقات والتصورات⁽⁹⁾

وسمة الجهاز المصطلحي البارزة هي ما أطلق عليه عبد الملك مرتاض بالتأليف الظلي وهو نوع من التنظير الموازي متمثل في خلق المفاهيم وانتاجها " فالمغاربة (دول المغرب العربي) بحكم وضعهم الجغرافي ووضعهم الثقافي القريب من فرنسا، اكتشفوا كثيراً من المصطلحات السيميائية وروجوا لها، ثم ترجموا من الفرنسية إلى العربية، واجتهدوا في التأليف، وخلق المفاهيم، "التأليف الظلي أو "ظل التأليف "⁽¹⁰⁾.

ولعل المتتبع للمنتج النقدي المغربي في مجال السيميائيات يجد الوفرة الغزيرة للمصطلح السيميائي، وهي وفرة ناجمة عن تعدد مشارب النقاد والبحاث المغاربة، ومن ثم تنوعت مصادر المصطلح السيميائي المغربي الى ثلاثة روافد اساسية:

- الرافد التراثي
- الرافد الألسني
- الرافد السيميائي (أصول النظرية أوروبا وأمريكا)⁽¹¹⁾

ومنه كان هذا التنوع سبباً آخر في الوقوع في معضلة المصطلح، لما تعدد الروافد وصار من الصعوبة بما كان للباحث الواحد أن يستطيع التوفيق في مصادره المعرفية لإنجاز المصطلح هذا أو ذاك.

إننا لا نعرض للأسباب التي أدت لإشكالية المصطلح بقدر ما تتيحه معرفة هذه الأسباب التوصل إلى حلول لهذه المشكلة أو على الأقل الإنقاص من حدتها وتأثيرها الكبير في الدرس السيميائي المغربي، وهذا هو مرمى بحثنا ومقصده في النهاية. وعليه فإننا نقترح وبعد الوقوف على ما كتب حول هذه الإشكالية ما يلي:

- 1 - التزام منهجية موحدة وفق آليات مضبوطة لنقل المصطلح من أصله لتوطينه في بيئته العربية وفق ما يلائم الاستخدام الأوسع له.
- 2 - إنشاء الهيئات المتخصصة في الترجمة لتوحيد جهود الباحثين والمشتغلين في مجال الترجمة وتفعيل دور المجامع اللغوية في نقل وتعريب المصطلح.
- 3 - إنجاز قاموس عربي للمصطلح السيميائي يجمع شتاته ويحدد مفاهيمه بشكل موحد بين جميع المشتغلين على الدرس السيميائي وتحت إشرافهم .
- 4 - التحلّي بالعلمية والحياد أساساً لكلّ عمل مصطلحي جاد في التنمية اللغوية، عن طرائق تشجيع أعمال المجامع والمنظمات في الواقع.
- 5 - الاهتمام بعلم المصطلح من الناحية التعليمية وضرورة إدخاله ضمن المناهج التعليمية من أجل تكوين مختص في مجال المصطلحية وفق أسس علمية صحيحة.

الهوامش والإحالات

- 1- سعيد بنكراد: المصطلح السيميائي، مجلة علامات، العدد 14 المغرب، 2000، ص 08
- 2- جان كلود كوكي السيميائية مدرسة باريس تر:رشيد بن مالك دار الغرب للنشر ص 5-6
- 3- آراء عابد الجرمان، آتجاهات النقد السيميائي للرواية العربية، دار الأمان، منشورات الاختلاف، لبنان، ط 1، 2012، ص 71
- 4- المرجع نفسه، ص 71.
- 5- سعيد بنكراد: المصطلح السيميائي، (مرجع سابق)، ص 09.
- 6- مولاي بوخاتم: مصطلحات النقد العربي السيماءوي الاشكالية والامتداد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق سوريا، ط 1، 2005، ص 121.
- 7- سعيد بنكراد: المصطلح السيميائي، مجلة علامات، العدد 14 المغرب، 2000، ص 08
- 8- رشيد بن مالك: " إشكالية المصطلح اللسانياتي في النقد العربي المعاصر، جريدة (الرأي) صيف 1988.
- 9- عبد القادر فيدوح، دلالة النص الأدبي، دراسة سيميائية للشعر الجزائري. ديوان المطبوعات الجامعية. ط 1. 1993 ص 14
- 10- ينظر: عبد الملك مرتاض، مدخل في قراءة الحدائث، مجلة البيان، رابطة الأدباء بالكويت، العدد 323، 1997، ص 11، 12.
- 11- ينظر: مولاي بوخاتم: مصطلحات النقد العربي السيماءوي الاشكالية والامتداد، (مرجع سابق)، ص 140-142.